

الذئب في الدين والأدب والموروث الشعبي الطبي والخرافي

الذئب في الدين

القرآن الكريم

ذئب يوسف:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن، عندما يحاول المرء أن يجد في الفكر الديني الإسلامي ما يشير إلى الذئب، هو قوله تعالى، في الحديث عن إخوة يوسف عليه السلام:

﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [يوسف: ١٤].
﴿ قَالُوا يَا بَنَاتَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِئُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعَعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧].

وحيث نبتش عما دار حول هذا من أقوال، نصادف رواية الجاحظ:
"قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف: رجحون، فقليل له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، وإنما كذبوا على الذئب، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ يَدْمِرُ كَذِبًا قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف"^(١).

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٥، ص ٤٧٧.

وهكذا، دخل ذئب يوسف في التراث الأدبي للعرب، فقال أحدهم:
الذئبُ لا يُؤمَنُ لكَتِه عليه في يوسفَ مكدوب^(١)
وتقول رواية في قصة يوسف^(٢):

"إن إخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئباً، ولطخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثم جاؤوا به إلى أبيهم، وقالوا: يا أبانا! هذا الذئب الذي يحلّ بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذي فجّعنا في أخينا، لانشك في ذلك، وهذا دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه! فأطلقوه، فصبص له بذنبه، وأقبل يدنو منه، فقال له يعقوب: ادن، فدنا، حتى ألصق خده بفخذه، فقال: أيها الذئب! لم فجعتني في ولدي، وأورثتني بعده حزنا طويلا؟ ثم قال: اللهم، أنطقه، فأنطقه الله تعالى، فقال: والذي اصطفاك نبياً، ما أكلت لحمه، ولا مزقت جلده، ولا نتفت شعره، والله! ما لي بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته، فلا أدري أحي هو أم ميّت؟ فاصطادني ولدك، وأوثقوني، وأحضروني، وإن لحوم الأنبياء حرّمت علينا وعلى جميع الوحوش، والله! لا أقمت في بلاد يفعل فيها أولاد الأنبياء بالوحوش هكذا؛ فأطلقه يعقوب، وقال لبنيه: لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا ذئب خرج يتتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيغتم أخاكم، وعلمتم أن الذئب بريء مما جئتم به، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"^(٣).

(١) العسكري: جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٤٦٥.

(٢) لا يوجد في كتب التفسير ما يؤثّق هذه القصة؛ ولعلها مما جاء من أكاذيب الإسرائيليات وخرافاتهما، وإنما أتينا بها لبيان كيفية تدخل الفكر الشعبي في صياغة القصص حول الذئب.

(٣) محمد حسين العاملي، المخلاة (القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧هـ) ص ١٦٠. ذمام: عهد وذمة.

وهكذا، صارت الحكاية عن "ذئب يوسف"، فقال أبو عبدالله بن الحجاج

الكاتب:

قد أذنبَ القَوْمُ وألْزِمْتَهُ كأنهم أولادُ يعقوب
إذ جَعَلُوا يوسُفَ في جَبِّهِ وأوقَعُوا الذئبَ على الذئب^(١)

الحديث الشريف

الذئب يتكلم:

"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السَّبْع، يوم ليس لها راعٍ غيري، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم!! فقال رسول الله ﷺ: فإني أو من بذلك أنا وأبويكرو عمر"^(٢).

وهناك حديث الراعي:

"عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما راع يرعى بالحرة، إذا انتهز الذئبُ شاةً، فتبعه الراعي، فحال بينه وبينها، فأقبل الذئب على الراعي، فقال: يا راعي! ألا تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مُقْع على ذئبه يكلمني بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يدعو الناس إلى أبناء ما قد سبق. فساق الراعي شاءه، حتى أتى إلى المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فأخبره بما

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٤٦.

(٢) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق الشيخ أحمد عمر هاشم، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج ٥، ص ١٣، ١٠. وانظر: مجدي محمد الشهاوي، قصص الطير والحیوان من الحديث والقرآن (القاهرة: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٩٣م) ص ٦٩. وانظر، ص ص ٦٧-٦٨. يوم السبع: يوم القيامة. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، "السبع".

قال الذئب. فقال رسول الله ﷺ: صدق الراعي، ألا إنه من أشرط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده، لاتقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل شريك نعله، ويحدثه سوطه، ويخبره بما أحدث أهله بعده^(١).

الدعوة بالذئب:

ويؤيد فهمنا للسبع (الكلب) بأنه الذئب في دعوة النبي ﷺ، أنه: "أتته ليلى بنت الخطيم بن عدي بن عمرو،.... وهي أخت قيس بن الخطيم الشاعر، وهو مولى ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، وهو غافل، فقال: من هذا؟ أكله الأسود. وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك أعرض نفسي عليك لتزوجني، فقال: قد فعلت، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله، فقالوا: بشس ما صنعت! أنت امرأة غيري، ورسول الله صاحب نساء، وتغارين عليه، فيدعو عليك، فاستقبله نفسك، ففعلت، فأقالها. فيينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثب عليها ذئب، فأكل بعضها، لقوله ﷺ، فماتت"^(٢).

ويتضح لنا بهذا أن المقصود بقوله ﷺ: الأسود: أي، الذئب.

واسترسالاً مع الذئب في التراث العربي الإسلامي، فإن دعوة الرسول ﷺ على عتبية بن أبي لهب، وكان يُكنى أبا واسع، وكان شديد الأذى للنبي، فدعا النبي ﷺ

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد (بيروت: دار إحياء التراث، دت) ج ٣، ص ٥٠٤. وانظر، عبداللطيف عاشور، قصص الحيوان في الحديث النبوي (القاهرة: دار الطلائع، ١٩٩٢م)، ص ٦٣-٦٦. الحرة: أرض بظاهر المدينة، بها حجارة سود كثيرة. ألقى الكلب: جلس على استه، وسط ذراعيه، مفترشا رجله، وناصبا يديه. زواها: جمعها. شراك نعله: خيوط الخف الذي يرتديه.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٩٦.

الله بأن يسلط عليه "كلباً" عقوراً، وهو ما اتضح أنه يعني سبعاً، أي ذئباً. قال ﷺ: "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك". وخرج أبو واسع في سفر له، ومعه عدة من قومه، فخطا إليه السبع من بينهم حتى أكله"^(١). وها قد نصَّ على أن المقصود بـ"الكلب" السبع، أي: الذئب، وسنرى في قصة حسان ذكر "الليث" و"الكلب" معاً، وفيها بين حسان حركة اختتال الذئب.

أما الحديث الآخر، مما له علاقة بما نحن فيه، فهو أن الرسول ﷺ: "مر بجارية سوداء وهي تُرْقِص صبيّاً لها، وتقول: ذؤال! يابن القوم! يا ذؤال! يمشي الثُّطا ويَجْلِس الهَبْتَقَعَة فقال عليه الصلاة والسلام: لا تقولي ذؤال، فإنه شر السباع"^(٢).
وحيث إن الذئب شر السباع، فقد نقل الجاحظ أنه: "أمرنا بقتل.... الذئب"^(٣).

الذئب في الفقه

نجاسة الذئب:

الجلد: ولأن الذئب سبع، فقد اختلف الفقهاء في حكم الصلاة في جلود السباع، فمالك يكره الصلاة في جلود السباع، وإن دُبغت، ويمنع حتى من بيعها. وأما الشافعي، فيرى أن الدبغ يطهر جلود الحيوان المأكول وغير المأكول، إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما^(٤).

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٤٢٩.

(٢) ابن منظور، اللسان، "ثطا"، "نال". ذؤال: ترخيم ذؤالة، أي الذئب. ثطا: ثطا الظبي، خطا. الهبتقة: الحمقى.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٠٧. ولم يرد هذا الأمر في الأحاديث الصحيحة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "سبع".

الخطفة: النهي عن أكل ما اقتطع الذئب من البهيمة وهي حية.
وفي الحديث أيضاً:

”أن النبي ﷺ نهى عن المجثمة، والخطفة: وهي ما اختطفه الذئب من أعضاء الشاة وهي حية من يد أو رجل.. والصيد حيّ؛ لأن كل ما أبين من حيّ، فهو ميت. والمراد ما يُقطع من أعضاء الشاة“^(١).

الذنب في الأدب

في الإسلام

مكلم الذئب:

وقد قالوا: أنطق ذئب أهبان بن أوس^(٢).

وذكروا: أن الذئب كلم ثلاثة من الصحابة، هم: رافع بن عميرة. سلمة بن الأكوع. أهبان بن أوس^(٣).

ويذكرون أن لرافع بن أبي رافع شعراً مشهوراً في تكليم الذئب له، يقول فيه:
فلما أن سمعتُ الذئبَ نادى يُبشِّرُنِي بأحمدَ من قريب
فألفيتُ النبيَّ يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب^(٤)

(١) المصدر نفسه، "خطف". وانظر: سورة المائدة، آية رقم (٣).

(٢) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، (مناقب الترك) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٣٢.

(٣) البستاني، دائرة المعارف، ج ٨، ص ٤٣٣.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج ٧، ص ٥٢٥-٥٢٦. وهو الأسلمي، من أسلم، من خزاعة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، "وبرة"، "بين". وجاء في حاشية محقق الروض الأنف، ص ٥٢٦: "وليس للقصة سند يُعتدُّ به، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمه أهل الحديث. ولا ريب في أنها أسطورة. شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (بغداد: مكتبة المثني، د.ت) ج ١، ص ٤٩٧-٤٩٨.

وترويه كتب الأدب على النحو التالي:

"ذئب أهبان يضرب مثلاً للشيء العجيب، وكلام ما لا يتكلم. ومن قصة أهبان ابن أوس (السلمي)، أنه كان في غنم له، فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أهبان، فأقعى الذئب، وقال له: أتتزع مني رزقاً رزقنيه الله! قال أهبان: فصفت بيدي تعجباً، وقلت: والله ما رأيت، ولا سمعت أعجب من هذا! فقال: أتعجب من هذا، ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات، وأوماً بيده إلى أبيات المدينة، يحدث بما كان ويكون، ويدعو إلى الله عباده! قال: فجئت إلى النبي ﷺ، وأخبرته بالقصة، وأسلمت. فكان يُقال: لأهبان: مكلّم الذئب، ولولده: بنو مكلّم الذئب، قال الشاعر:

إلى ابن مكلّم الذئب ابن أوس

رحلت غداً فكنت على أمان

وقال رزين العروضي، يهجو بعض ولد أهبان:

فكيف لو كلّم الليث الغضوب إذاً

تركتم الناس مأكولاً ومشروباً

هذا السنيدي لا أصل ولا طرف

يكلّم الفيل تصعيداً وتصويماً^(١)

ويروي الجاحظ أنه قال:

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم

فقد لعمرى أبوكم كلم الذئب^(٢)

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢١٧.

والأبيات منسوبة لدعلج الخزاعي، في الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٩٠، كما أنها منسوبة لأبي سعد المخزومي، في ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٩٤-٢٩٥، ولعل هذا هو الصواب.

وذكره البحتري، فقال:

زَيْنٌ لِمَمْلَكَةٍ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ

ذَيْبٌ خِزَاعِيٌّ الْهَوَى وَالْمَحْضَرُ^(١)

وقال المعري:

"ذئب يقتنص ظباءً، فيفني السُّرْبَةَ بعد السرية، وكلما فرغ من ظبي أو ظبية، عادت بالقدرة إلى الحال المعهودة.... يقول: أنا الذئب الذي كَلَّمَ الأَسْلَمِيَّ على عهد النبي ﷺ، كنت أقيم عشر ليالٍ أو أكثر، لا أقدر على العكرشة ولا القُوع. وكنت إذا هممت بعَجِيٍّ المعيز، أسدَّ الراعي عليَّ الكلاب، فرجعت إلى الصاحبة مخرَّق الإهاب.... وربما رُميت بالسُرْوَة، فنشِبت في الأقرب، فأبيت ليلي لما بي، حتى تنتزعها السُّلْقَة، وأنا بأخر النُسيس، فلحقتني بركة محمد ﷺ"^(٢).

تمويه مسيلمة الكذاب:

ومَّا يتعلّق بالكذب والتزييف، ما ورد من تمويه مسيلمة الكذاب واحتياله، وادعائه المعجزات والآيات، إذ يقال: إنه "دعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله، فوجد أحدهما قد سقط في البئر، والآخر قد أكله الذئب"^(٣).

ومن كلام علي عليه السلام، في التمثيل بالذئب: "اختطافَ الذئب الأزل دامية المعزى"^(٤).

(١) البحتري، ديوان البحتري، ج ٢، ص ٩٥١.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دارالمعارف، ط ٧، ١٩٨١م) ص ٣٠٦. السرية: الجماعة من الظباء. العكرشة: أنثى الأرنب. القوع: ذكر الأرنب. العجي: ما قدامه. أسد: أغرى. السلقة: الذئبة. السروة: السهم القصير أو العريض النصل. الأقرب: جمع قرب، وهو الخاصرة. النسيس: غاية جهد الإنسان، وبقيّة الروح في الجسد.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٦، ص ٩٣.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٨٢.

دعوة النبي ﷺ على أبي واسع في شعر حسان:

يقول حسان بن ثابت في أبي واسع الذي دعا النبي ﷺ بأن يأكله "السبع"

(الذئب):

سائلُ بني الأشعرِ إن جئتَهم
لا وسَّعَ اللهُ له قَبْرَه
رَحْمَ نَبِيٍّ جَدُّه جَدُّه
أَسْبَلُ بِالْحِجْرِ لِتَكْذِيبِهِ
فاسْتَوْجِبِ الدَّعْوَةَ مِنْهُ فَقَدْ
أَنْ سَلَّطَ اللهُ بِهِ كَلْبَهُ
فالتَّهَمَ الرَّأْسَ يَافُوخِهِ
أَسْلَمْتُمُوهُ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ
وَاللَّيْثُ يَغْلُوهُ بِأَيْدِيهِ
لا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَضْرُوعَكُمْ
مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ
قَدْ كَانَ فِيهِ لَكُمْ عِبْرَةٌ
مَنْ عَادَ فَاللَّيْثُ لَهُ عَائِدٌ

مطعم الذئب:

يقول الهمداني:

"لبنى الحِمَّاس، من بلحارث بن كعب... وادي مران...؛ بنو قَبَات منهم،

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٤٢٩. وانظر: الصفة "سيد"، اللسان، "سود".

وهم سادتهم وأشرفهم، منهم: محمد بن قُبَاث، مطعم الذئب، وله خبر عجيب^(١).
والحكاية عن رجل، في الإسلام، كما يتبين من الخبر، وعن ناس ممن يسكن اليمن،
من نواحي ما بين عدن وحضرموت، ولم يفصل الهمداني فيما سماه: "خبر عجيب".
على أن التراث الشعبي في الجزيرة العربية، يذكر حكاية ذات رؤية مشابهة،
باسم: "معشي الذيب"^(٢).
التسمي بـ "الذئب":

سَطِيح الكاهن (الذئبي): يدل التسمي بالذئب على البعد الأسطوري، بل
الطوطمي، في العقلية العربية قبل الإسلام بآماد بعيدة؛ فسَطِيح الكاهن كان يُدعى:
الذئبي، نسبة إلى أحد أجداده المسمى: ذئب: إلا أن الشاعر نُسبه إلى أمه في قوله:
وأُمُّه من آل ذئب بن حَجَن^(٣).

والذي، لا شك - يمتد في الزمن ليصل إلى تلك المرحلة السحيقة المرتبطة
أيضاً بعبادة الحيوان، ومنها الذئب. وكان أحد الشعراء يدعى بابن الذئبة، نسبة إلى
أمه، واسمه ربيعة بن عبد ياليل^(٤).
في الجاهلية

الذئب في الأساطير:

التخويف بالذئب: وكما اعتقدت شعوب العالم بأثر الذئب في حياتها العامة
والخاصة، فخوفوا به الأطفال، وأرعبوا به الكبار، واتخذوه بركة وخشية، فعل
العرب الشيء نفسه، ففي الجاهلية جاء في أمثالهم، قولهم: "لقد كنت وما أخشى

(١) أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكواع
(الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م)، ص ١٨٦.

(٢) إبراهيم بن عبدالله اليوسف، قصة وأبيات (الرياض: مرام للطباعة، ط ١، ١٤١٧هـ) ج ١، ص ١٣١.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سطح". وانظر، الزبيدي، التاج، "سطح".

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٢٢٩.

بالذئب". وهو مثل يقوله الرجل، يذل بعد العز، وأصله في الرجل يخرف، فيصير بمنزلة، فيفزع بمجيء الذئب"^(١).

وفي نطاق الترويع بالذئب، قال كعب الأشقري، مشيراً إلى تخويف الأطفال به: وما رُوِّعت بالذئب ولدانٌ أهلها ولا نَبَحَت إلا النُّجُومَ كِلَابُهَا^(٢) إذن، كان الذئب يُمثَّل على أنه قوة شريرة على الأطفال أن يتجنبوها. الاعتقاد في الذئب: ولقد اتَّخذ العرب من عصور بعيدة أجزاء من الذئب، لاعتقادهم بأثره السحري، يقول امرؤ القيس:

مُرْسَعَةٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهِ بِهِ عَسَمٌ يَتَغِي أَرْبَا
لِيَجْعَلَ فِي كَفِّهِ كَعْبَهَا حَذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

يريد: أنه يُتداوى، ويُتعوذ بكعب الأرنب، حذر الموت والعطب، وكانوا يشدُّون في أوساطهم عظام الضبع والذئب، يتعوذون بها^(٣)، يجعلونه في سير^(٤). وهكذا، كان يُوضع في عنق الصبي في الجاهلية تعاويذ وخرزاً، تبقى طول النهار، تضبطه من التعرّف والبعد عنك، خوفاً من الذئب عليه^(٥).

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) أبو بكر، محمد وأبو عثمان سعيد الخالديان، الأشباه والنظائر، تحقيق السيد محمد يوسف (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م) ج ٢، ص ١٨١.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ١٢٨. المرسعة: مثل المعاذة. الأرساع: جمع رُسغ، وهو مفصل ما بين الكف والذراع. العسم: يُس في الرُسغ واعوجاج.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبوزكريا، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح المفضليات، تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة: دار نهضة، مصر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ج ١، ص ٦٨.

وهذه المعتقدات هي مما أبطله الإسلام ونهى عنه، ونوردها هنا كما جاءت في كتب التراث، من باب العلم والاطلاع فقط.

وسنقتصر في حديثنا عن موقع الذئب في الاعتقاد العربي على الإشارة إلى أن الأمثال العربية ربما حملت تفكيراً أسطورياً، تلاشت ظلاله من الأذهان، ويدلنا على هذا قصة المثل:

"من استرعى الذئب، ظلم".

أي: ظلم الغنم، ويجوز أن يراد: ظلم الذئب، حيث كلفه ما ليس في طبعه، وهو مثل يضرب لمن يُوكِّي غير الأمين".

ومع أن الأمانة مسألة أخلاقية إنسانية، ذات علاقة دينية، فإنهم يروون في قصة المثل: أن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أن عامر بن عبيد بن وهيب تزوج صَعْبَةَ بنت صيفي أخت أكثم، فولدت له بنين: ذئباً، وكلباً، وسبعاً، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب، وأغار على الأقياس - وهم قيس بن نوفل، وقيس بن وهبان، وقيس بن جابر - فأخذ أموالهم، وأغار بنو أسد على بني كلب - وهم بنو أختهم - فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أفتدي بها بني من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فقال أبوه صيفي: يا بُني! لا تفعل؛ فإن الكلب إنسان زهيد، إن دفعت إليه أموالهم، أمسكها، وإن دفعت إليه الأقياس، أخذ منهم الفداء، ولكن تجعل الأموال على يد الذئب، فإنه أمثل إخوته وأنبلهم، وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم، فمر الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على يد الذئب، والأقياس على يد الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب، فأخذ منه أموالهم، ثم قال لهم: إن شئتم جززت نواصيكم، وخليت سبيلكم، وذهبت بأموالكم، وخليت سبيل أولادي، وذهبت بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم فقال: من استرعى الذئب ظلم، وأطمع الكلب في الفداء، فطوّل على الأقياس، فأتاه أكثم، فقال: إنك لفي أموال

بني أسد، وأهلك في الهوان، ثم قال: نعيم كلبٍ في هوان أهله، فأرسلها مثلاً^(١).
 لقد احتل الذئب في التراث الأدبي مكانة بارزة، وسيطر الاعتقاد في الذئب
 على تفكير كثير من الشعوب، فصوروه في حفرياتهم، ورسومه على جدران
 معابدهم، وأصبح رمزاً لبعض القوميات في أعلامهم ومسكوكاتهم النقدية.
 وليس بأيدينا، ونحن نتعامل مع الأساطير، إلا أن نشير إلى أن خرافة السَّمع
 أو العسبار، المتولد عن اجتماع ضبع وذئب، ذات مغزى أسطوري بعيد الأغوار، إذ
 هو يعود إلى المرحلة المبكرة من مراحل نشوء الأساطير، في ذلك الزمن الذي احتلت
 فيه الأنثى مكانة القداسة، والتي تتمثل في الحيوان الطوطم "الأم الكبرى" (الضبع)،
 ثم في قوة الذكورة المتمثلة في سلطة الأب (الذئب)، وكما هو متمثل في تماثيل الآلهة
 التي تجعل أجزاء الأنوثة وأجزاء الذكورة في جسد واحد. وقد رأينا أن السمع أو
 العسبار، حيوان صغير، هو القطة المتوحشة، أو في الحقيقة هو الوشق، وهما حيوانان
 من الحيوانات التي حظيت بمكانة قدسية في الأسطورة، وحسب أحد الافتراضات،
 فإن هذه المرحلة تعود إلى خمسين ألف سنة مضت^(٢).

أما أسطورة الغول، أو الرجل الخرافي، أو ذلك المتذئب، أو الذي لبس جلد
 الذئب، فهو أيضاً ذو علاقة بالسابق، حيث يلبس الساحر الرداء المقدس^(٣).
 ولسنا نجد في التراث العربي دلائل أخرى تخرج عن مثل هذا الترميز، ولا بقية
 باقية عن مثل تلك الاعتقادات عند الآخرين، اللهم إلا إذا أخذنا أسماء الأعلام،
 كدليل شعائري، لأثر طقسي قديم، كما أومأنا سابقاً. أو كقولك: إن العمّلس كان
 رجلاً برّاً بأمّه، كان يجعلها على عاتقه، والعملس من أسماء الذئب^(٤).

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٢) Michael Harrison, the Roots of witchcraft (London: Taindem, 1975), p. 65 – 72.

(٣) Ibid, p. 61 – 62.

(٤) الميداني، الدرّة الفاخرة، ج ١، ص ٨٢.

ولكن التسمية بالذئب: أسمائه وصفاته، تتجاوز أسماء الأعلام إلى أسماء الأماكن؛ وأسماء الأماكن ذات العلاقة بالذئب كثيرة في العالم، وبعضها كان ما يزال مزارات لصلة القديسين بالذئب، حيث ارتبط اسم قديس ما بالذئب ولا يستبعد المرء مثل هذا الواقع فيما قبل الإسلام، فكثيرة هي الأماكن التي أُطلق عليها اسم الذئب، وذلك مثل:

الذئب: موضع في بلاد بني كلاب.

الذئبة: ماء لبني ربيعة^(١).

فإذا أضفنا إلى هذا عبادة الذئب التي ربما وُجدت ذات يوم عند الوثنيين العرب الذين عبدوا الأحجار وبعض الحيوانات^(٢) فإنه يمكن تصوّر عبادة الذئب كما يعكسها بعض أسمائه، فمن أسمائه "عوف"، ومن أسماء العرب "عبد عوف". أي: عبد الإله عوف: الذئب الذي كان صنماً.

و"ذو الذئبين"^(٣) موضع عند النابغة الجعدي.

ولأول مرة في الشعر العربي نجد إشارة إلى أن العرب كانوا يتشاءمون بالذئب إذا مر عن يسارك، ويتفاءلون به إذا مر عن يمينك، وذلك مثلما يتشاءمون بالغربان؛ ولهذا، كثيراً ما كان يُجمع بينهما. ومن هنا: ارتبطت رؤية الذئب بيوم ظعن الأحبة، رمز الفراق الأدبي، يقول جرّان العود:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الذَّئْبَ يَسُومُ سَمًا لَنَا عَلَى حَاجَةٍ مِنْ جَوْءٍ لَصَدِيقِ

(١) ياقوت، معجم البلدان، "الذئب".

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٧، ١٩، ٢٨٨، ج ٨، ص ٦٩١ وانظر، الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ٦٢.

وهذا دَفْعٌ للتشاؤم فقط، بينما يستبطن ذلك البعد؛ لأنه يتحدث في القصيدة عن فراق محبوبته "حميدة"، ويقول:

وما كان ذئب سايزح ليرُدُنِّي ولا الطيرُ في كهفٍ لهنَّ نَعِيقُ^(١)
والطير" هنا، يعنون به الغربان.

ويبين الجمع بين الذئب والغراب في الرؤية التشاؤمية، قول أحدهم:

هذا أَحَقُّ مَنْزِلَ يَتَرُكُ الذئبُ يَعْوِي والغراب يبيكي^(٢)

وهم يجمعون أيضاً بين الظباء والذئاب في التشاؤم، قال الصمة بن عبدالله القشيري:

ويوماً بقاع الأخرين جرى لنا بنحسٍ ظيباء الأخرين وذيها^(٣)
ومن ثم، فليس من تفسير لاعتقادهم بأنه:
"إذا دخل الظبي الحرم، كفَّ عنه الذئب"^(٤).

إلا جعل الذئب قوة شريرة، تردعها قوة خيرة، أي: أنه هنا يمثّل رمزاً من رموز الشر، في مقابل الخير التي تتمثل الآن في الظبي الذي يلجأ إلى الحرم. وهذا بالتأكيد ليس تصوراً إسلامياً، وإنما هو تصور وثني سابق للإسلام.

نجد هذا الاعتقاد الوثني في جانبه الشرير، التشاؤم، في وصفهم للذئب بـ:
"اللّعين"^(١).

(١) العود، ديوان جران العود، ص ٥٣.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وآخر، القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ج ١، ص ١٧١.

(٣) القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، ص ٣٤.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ص ١٣٩.

حتى قال الشماخ:

مكان الذئب للرجل اللعين^(٢)

وذلك أنه: "يقال للذئب: لعين، وللرجل الطريد: لعين"^(٣).

واللعين ذو اعتبارات دينية، فالذئب مطرود - حسب التصور الوثني - من الرحمة، ومحرم عليه دخول أماكنها المقدسة، أو الاقتراب منها.

فإذا تجاوزنا أسماء الأعلام، وأسماء الأماكن، يمكن أن نأخذ برواية بيت عبدة بن الطيب التي تقول:

فيها الذئاب وفيها الأسد مخدرةً من كل شيء يرى فيها تهاويلُ

والرواية المشهورة هي: فيها "الدجاج".

وذلك في إشارة إلى أحد بيوت العبادة في الجاهلية، في قوله:

في كعبة شادها بان وزينها فيها ذبالٌ يضيء الليل مفتول^(٤)

والرواية المناسبة هي "فيها الذئاب"، لتناسق الذئاب والأسود.

وإحلال رواية مكان رواية مستساغ في التراث الشفوي، ولذلك، فإن رواية: "فيها الذئاب...."، تشير إلى تقديس الذئب، كما هو الحال في تقديس الأسد، فتصويرهما على جدران المعبد يعني أنهما حيوانان احتلا مكانة القداسة في تاريخ العرب القديم.

(١) الشماخ، ديوان الشماخ، ص ٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، حاشية، ص ٣٢٢.

(٣) أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: مطبعة دار الكتب

المصرية، ط ٢، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م)، ج ٢، ص ٢٥.

(٤) التبريزي، شرح المفضليات، ج ١، ص ٥٢٩.

ومما يدل على هذه المكانة الأسطورية التي احتلها الذئب في تاريخ العرب القديم، ذلك الاعتقاد الشعبي السائد بين الأعراب الذين:

"يزعمون أن الله تعالى ﷻ لم يدع ماكساً ظالماً إلا أنزل به بليّة، وأنه مَسَخَ منهم اثنين: ضبعاً وذئباً، فلهذه القرابة، تسافدا وتناجلا"^(١).

وفي هذا الاعتقاد يقول الحكم بن عمرو البهراني:

إِنَّ رَبِّي لَمَا يَشَاءُ قَدِيرٌ مَا لَشَيْءٍ أَرَادَهُ مِنْ مَفْـُٔرٍ
مَسَخَ الْمَاكْسِينَ ضَبْعاً وَذَيْباً فَلهَذَا تَنَاجِلَا أَمِ عَمْرُو^(٢)

إن هذا الاعتقاد الشعبي بين الأعراب، والذي صيغ على ما يظهر صياغة إسلامية، يعود إلى أزمنة غابرة، قد تعود إلى أول اصطدام حضاري بقيام الحركة التجارية في مناطق النفوذ التي احتكوا بها، كما تمتزج بذلك التصور الخاص باتصال الذئب بالضباع، مما يفسر لنا أن اعتقادهم ذلك الذي أشرنا إليه في إنجاب السَّمع أو العسبار، ذو ارتباط بالتأثير النفسي للحركة التجارية في المنطقة، والانتقال من المرحلة الرعوية إلى مرحلة تجارية.

أما الاعتقاد الآخر في الذئب، فهو أن:

"العَبُور: تُسمى كلب الجبار، يعنون:

الجوزاء؛ ويقال: إن الكلاب والذئاب تكلب عند طلوع الشُّعري"^(٣).

أيضاً إحدى الأساطير التي تحاول تفسير حدوث ظاهرة طبيعية ما، بالعلاقة

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠. أم عمرو: الضبع.

(٣) أبو محمد، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، الأنواء (حيدرآباد - الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،

بالأنواء، وهي مرحلة من مراحل التدنُّن التي مرّت بها البشرية، حيث احتلت فيها عبادة النجوم والكواكب مكانتها في التأريخ الإنساني، وأرجعت الظواهر الطبيعية إلى حركاتها. ويتعمق لنا الإحساس بمكانة الذئب الطقسية، ليس في علاقته بالمعابد، أو الأشكال (مَسَخ الماكسين ضبعاً وذئباً)، أو النجوم والكواكب، وإنما في الاعتقاد في ذات الذئب نفسه. وقد انقسم العرب على قسمين، فجماعة من العرب تتشائم بالغراب، وتتيامن بالذئب؛ لأنه كسوب^(١). وجماعة منهم ترى أنه:

"ليس في السباع أكسب منه، وهو لا يُتفأل به، ويُتفأل بالأسد"^(٢).

ولعل تفسير هذا التباين في الموقفين، مع أن كليهما يَحْمَدان في الذئب الكسب، يعود إلى منطقة كل منهما، فرمما كان الأولون يتيامنون به؛ لأنهم يتشاءمون من الغراب، الذي يروونه تابعاً للذئب، ومقتنياً لأثره، وعالّة على صيده، ولعل هؤلاء هم أهل البراري والصحارى؛ أما الآخرون، فلعلهم أصحاب المناطق الجبلية التي تحيا فيها الأسود عادة، ويكون الذئب فيها دخيلاً عليها، وغريباً عنها. والمهم أن كلا الفريقين رأى في الذئب إما تيمناً، وإما تشاؤماً، وهاتان الفكرتان مرتبطتان أصلاً باعتقاد بدائي سائد بين الشعوب في مراحلها الاجتماعية الأولى التي تُعيد الخير والشر إلى قوى غامضة مبعثها الآلهة، مما يؤكد لنا الافتراض أن الذئب قد احتل ذات يوم مكانة طقسية بين شعوب المنطقة أو عند قبائلها.

وينقل الدميري عن القزويني حكاية عن بعض الأعراب:

"أنه نزل وادياً بغنمه، فسلب سرحان شاةً من غنمه، ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً: يا سرحان! ردّ عليه شاته، فجاء الذئب بالشاة، وتركها، وذهب"^(٣).

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤. وانظر في السانح والبارح، ابن منظور، اللسان، "سح".

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ١٩. السرحان: الذئب.

وتفسر هذه الحكاية تلك الأساطير والأقاصيص الشعبية عن علاقة الجانّ بالذئب. ويمكن أن يكون زواج أم بلقيس نوعاً من تلك العلاقة، إذ يُروى:

"أن أم بلقيس ابنة الهدهاد امرأة من الجن، كان سبب تزويج الهدهاد ابن شرحبيل بها أنه خرج للصيد في جماعة من خدمه وخاصة، فرأى غزالاً يطرده ذئب، وقد أضافه إلى ضيق ليس للغزال منه متخلص، فحمل الهدهاد ابن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزال، وخلص الغزال"^(١).

ولكن الأدب الشعبي في الجزيرة العربية يتخذ موقفاً مغايراً، فهو يجعل الجن تخاف من الذئب، وهناك حكايات عن أكل الذئب الجن.^(٢)

ومهما يكن، فمن المؤكد أن الحوت فهم فهماً خاطئاً عندما قال:

"ولم تنج الذئب من ركوب الجن".

وذلك تعليقاً على رواية الأغاني:

"بيننا نحن نسير بين أنحاء الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطللس يقول..."^(٣).

ذلك أنه فهم أن "أطللس"، تعني صغير الذئب. وليس الأمر كذلك، وإنما هو معنى استعاري، يعني رجلاً رثّ الحال، بالي الثياب، كأنه في حالة ذلك الذئب الأطللس، الذي طالما وُصف عندهم بالشقاء.

(١) عبدالمملك بن قريب الأصمعي، تاريخ الملوك الأولية، تحقيق: محمد حسن آل ياسين (بغداد: المكتبة العلمية، ١٩٥٩م)، ص ٧٨.

(٢) عبد العزيز السواط، هل تأكل الذئب الشياطين. جريدة عكاظ، س ٣٥، ع ١٠١٦٠ (الخميس ٢٢ ذي الحجة ١٤١٤ هـ / ٢ يونيو ١٩٩٤)، ص ٢٢.

(٣) سليم الحوت، الميتولوجيا عند العرب (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ط ٢، ١٩٧٩م) ص ٣١٥.

أما التفكير الأسطوري الذي ربما عاد إلى الجاهلية، ولكنه حُرّف في الإسلام، فهو القول:

إن "جبريل عليه السلام يعيد طفلين أكلهما الذئب".^(١)

فالتفكير الديني الإسلامي لا يقول بهذا، وإنما هو تفكير شعبي أحل جبريل محل آلهة الخير في الجاهلية، بينما بقي الذئب رمزاً من رموز آلهة الشر. ومما قد يكون ذا علاقة بالأساطير المتعلقة بالذئب ما رواه الأصمعي عن خلف الأحمر، من أنه روى قول الجعدي:

زَجَرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَسِنَ بِالْغَنَمِ

وقد روى الأصمعي عن خلف، تفسيره لذلك البيت:

"كان أبو عروة السباع يصيح بالسبع، وقد احتمل الشاة، فيسقط، فيموت، فيشق بطنه، فيوجد فؤاده قد انخلع".^(٢)

وأكثر المعاني المرتبطة بالسبع وعلاقة الشاة خاصة بالذئب.

ولهذا التأثير الطقسي للذئب، اعتقد العرب في أن السنة المجذبة هي بلاء حلّ

بالأرض، فانتشرت فيها الضباع والذئاب، يقول جرير:

يَأْوِي إِلَيْكُمْ يَلَا مَنْ وَلَا جَحْدَ مَنْ سَأَقَهُ السَّنَةُ الْحَصَاءُ وَالذَّيْبُ

ويقولون لذلك:

"أكلتنا الضبعُ"

يريدون: أن الناس إذا أجذبوا، ضعفوا عن الانبعاث، وسقطت قواهم،

فعاثت فيهم الضباع والذئاب، فأكلتهم. قال الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ إِذَا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ

(١) مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات (بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٢٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٨٥. وانظر، ابن منظور، اللسان، "عرا".

أي: أن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب".^(١)
 ومن المظاهر الرائعة في التفكير الأسطوري عند العرب ، تعريف أبي عبيدة
 معمر بن المثنى لـ "يوم السبع" الوارد في الحديث الشريف على لسان ذئب :
 "..... من لها يوم السبع".
 فقد عرفه بأنه :

" عيد كان لهم في الجاهلية ، يشتغلون فيه بأكلهم ولعبهم ، فيجيء الذئب ،
 فيأخذها".^(٢)

وهو طقس أسطوري نجد له مثيلاً عند قبائل الهنود الحمر فيما يعرف
 باحتفالات "الكلوكوانه" the klukwana"^(٣). وذلك تكريماً للإله الهاساس Ha-sass. ويبدو
 أن أبا عبيدة نقل الصورة دون تفاصيل ، إذ لعل الجاهليين كانوا يقيمون طقوس عبادة
 لآلهتهم ، في احتفال بهيج طيلة النهار ، ثم عندما يأتي المساء ، الوقت المعتاد لخروج
 الذئاب ، يقدمون القرابين والأضحيات للآلهة ، تاركينها في العراء ، فتأتي الذئاب
 وتأكلها ، مشاركة منها لتلك الآلهة ؛ ولأنهم بذلك يدفعون عنهم الأرواح الشريرة
 التي تحملها الذئاب ، فالذئب رمز الشر.

وإذا لم تكن على علم بعلاقة بعض أسماء الذئب وصفاته بالأساطير
 والمعتقدات ، فمثلاً أوس من أسماء الذئب ، وهناك قبيلة الأوس من الأزد ، فإن
 العَمَلْس من صفاته ، وهي صفة مأخوذة من العَمَلْسَة : وهي السرعة ، ولكن يقال

(١) الأصبهاني ، الدرر الفاخرة ، ج ١ ، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) أبو عبيد ، عبدالله بن عبدالعزيز ، البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة : مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م) "سبع".

أما شارحو الحديث ، كما رأينا ، فيرون أن يوم السبع : يوم القيامة.

(٣) Diana Landau, Wolf, (Kentucky: The Nature Co., 1933). p. 162.

أيضاً إن : العَمَلَس : كان رجلاً بَرّاً بأمه حتى كان يحملها على عاتقه".^(١)

الطب الشعبي

فإذا انتقلنا إلى التفكير الشعبي ، وجدنا ممارسات شبيهة بتلك الممارسات عند شعوب العالم الأخرى ، وهي لا شك ممارسات قديمة ، أخذت تتكيف مع أزمانها ، إلا أن جذورها السحرية واحدة ، وهي الاعتقاد في أن عضواً من أعضاء الذئب ، أو قطعة منه ، ذات مفعول سحري يدفع الشر والبلاء ، أو يجلب الضرر والخراب ، وقد صاحبت هذه الاعتقادات الإنسان منذ فجر تأريخه ، عندما كان السحر يقوم بدور الدين ، وكان الساحر بديل الكاهن والعرّاف.

خواصه

واهتمامنا هنا بهذه المعتقدات يستند إلى أن كتب التراث سجلتها ، لا على أساس أنها معتقدات لدى العامة فحسب ، بل على أنها مواد أدبية تحتل منزلة ماثلة لأي معتقد شعائري يقع خارج النصوص الشرعية ، ولكنه من الموضوعات التي جرت عُرْفاً وتقليداً ، فعلى سبيل المثال يذكر ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ما يأتي :

" قالوا : والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان ، أبح الذئب صوت ذلك الإنسان".^(٢)

ويضيف قائلاً :

" قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذئب ، نُقِلت قائمته التي وطئ بها".^(٣)

وقال أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٣ هـ) :

(١) الأصبهاني ، الدرّة الفاخرة ، ج ١ ، ص ٨١.

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

"كل شاة يتناول الذئب من لحمها، يكون لحمها حلواً لذيذاً، وكل جزء صوف تهيأ من الشاة التي تناول الذئب منها، قَمِل الثوب المعمول منها من قِبَل سَمِّ أسنانه"^(١).
وفي المصايد والمطارِد لكشاجم (ت٣٥٨هـ):

زَمَكُه

زَمَكُه يَنْفَعُ الْقَوْلَنْجَ

كَبَدُه

كبد الذئب تُبَيِّسُ، وتُدَقُّ، ويُسْقَى منها من اعتلت كبده بالورم،
بشراب حلواً، إن لم يكن محموماً،
فإن كان محموماً، فبماء بارد

لَحْمُه

لَحْمُه يَنْفَعُ مَنْ وَجَعِ الذَّبْحَةُ^(٢)

ويستمر الاعتقاد في خواص الذئب في التراث الأدبي، فيحدثنا القزويني
(٦٨٢هـ) في كتابه عجائب المخلوقات بالآتي:

رَأْسُه

يعلق في برج الحمام، فلا يقربه السَّوْر ولا ما يؤذي الحمام.
إذا دُفِن في زريبة، تمرض غنمها وتموت.

نَابُه

من استصحبه، يدفع عنه قوة النبيذ، ولا يسكره.

(١) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص ١٧١.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارِد، ص ص ١٠٥-١٠٦.

لو عُلق نأبه على الفرس ، سبق الخيل .

عظم ساقه

يُحرق ، فيهرب من دخانه الفأر .

كعبه

يُشدّ على ساق الماشي ، فلا يتعب من السير .

يُشدّ على سيئ الخلق ، فتوسع أخلاقه .

كعبه الأيمن

من استصحبه ، يَغلب في محاصمة الرجال .

كعبه الأيسر

من استصحبه ، يَغلب في محاصمة النساء .

من استصحبه ، يَغلب عند السلاطين .

يُعلق على الرمح في الحرب ، فتتفر الخيل منه^(١) .

ويذكر النويري (ت ٧٣٣ هـ) ، في كتابه ، نهاية الأرب ، بعض معتقداتهم ، فيقول :

جلده

إذا اجتمع جلد شاة

مع جلد ذئب ، تمعّط

جلد الشاة^(٢) .

وفي كتاب : الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، نجد التالي :

(١) أبو عبدالله ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، عجائب المخلوقات (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي

الخلبي وأولاده ، ط ٣ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٦٥ م) ص ٢٣٥ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٩ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

قلبه

تأخذ قلب الذئب، وتضعه على قلب نائم،
فإنه يتكلم بما في قلبه من الأسرار^(١)
وقال الدميري (ت ٨٠٨هـ):
إذا بُخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بها النساء،
تشققت.

وقال السيوطي في كتاب الرحمة في الطب والحكمة:
إذا أخذ قلب النسر، وجُعل في جلد الذئب، وعلق على
شخص، كان مهاباً عند الناس، مقضي الخوائج^(٢).
وإضافة إلى هذه، فقد ذكروا منها أيضاً:

أمعازه

قال أبو حيان التوحيدي:
"الذئب إذا هيء من معاه وتر، وهيء من معى الشاة وتر، ثم علقا بآلات
الملاهي، ثم ضرب بهما، صوت المعمول من الذئب، وخرس الوتر المعمول من
الشاة"^(٣).

(١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة (بيروت: دار الرائد،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ص ٧٣-٧٤، ٩٤، ٩٠، ١٦٨، ١٩٩، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٣٠٣،
٣٠٧-٣٠٨، ٣١٠، ٣٦١-٣٦٣ وعلينا أن نلاحظ أن كل هذه الصفات لا أساس لها من شرع أو
عقل، ولم تثبتها الأبحاث الطبية الحديثة، وهي لا تستند إلى شيء علمي.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٦٣.

(٣) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص ١٧١.

وقال النويري :

إذا جُمع بين وتر عُمل من
 أمعاء ذئب ، وبين
 أوتار عُملت من أمعاء
 الغنم ، وضُرب بها
 لا يُسمع لها صوت^(١)

بوله

قال كشاجم :

إن بالث المرأة على بوله لم تجبل^(٢)

وقال القزويني :

إذا بالث المرأة على بول الذئب ، لا تجبل أبداً^(٣).

خرؤه أو زبله

قال كشاجم :

خرؤه الذي يقع على الشوك ، ينفع من وجع القولنج لمن شربه.
 إن طُلّي البطن به من خارج ، نفع أيضاً
 لا يؤخذ منه ما وقع على الأرض ، فإن ذلك يقتل^(٤)

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٩ ، ص ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) كشاجم ، المصايد والمطارد ، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٤) كشاجم ، المصايد والمطارد ، ص ١٠٦ .

وقال القزويني :

يُسقى منه صاحب القولنج، يبرأ في الحال^(١) .

وقال الدميري :

يُعمل تمثال ذئب من نحاس، ويحشى من خرق الذئب، ويدفن في أي موضع أردت، فإن الذئب تهرب من ذلك الموضع^(٢) .

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن بُخر موضع بزبل الذئب، اجتمع إليه الفأر^(٣) .

كما قال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

تأخذ زبل الذئب، وتُبخر به المكان، فإن الفئران تنفر من رائحته.

يؤخذ من خرق الكلاب، وخرق الذئب، وينقعها في بول بني آدم سبعة أيام، ثم يرش به متاع الجنان، أي: الطرقات التي يدخلها، فلا يقرب الذئب تلك السانية، ولا ذلك الموضع الذي يرش فيه، فيهرب من رائحته^(٤) .

خصيته

قال كشاجم :

إذا احتملت المرأة خصيته اليمنى مسحوقة في صوفة، انقطعت عنها شهوة النكاح^(٥) .

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥ .

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص ص ٣٦، ٣٦٤ .

(٣) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م) ص ٤٤٥ .

(٤) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص ٧٣، ٧٤، ٩٠، ٩٤، ١٦٨، ١٩٩ .

(٥) كشاجم، المصايد والمطارذ، ص ١٠٦ .

وقال القزويني :

تؤكل مشوية ، تهيج الباءة .

من أخذها معه يأتي النساء كثيراً^(١) .

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن أخذت امرأة خصيته اليمنى ، ودفأتها بزيت ، وغمست فيه صوفة ، وحملتها ، ذهب عنها شهوة الجماع^(٢) .

كما قال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أخذت خصية الذئب ، وسحقتها بزيت ،

وطليت بها الذكر ، وجامعت بها المرأة ، لم

يقدر عليها أحدا سواك^(٣)

دمه

قال القزويني :

يُخلط بدهن الجوز ، ويقطر في الأذن ، يُزيل الطرش .

إذا سقيت المرأة منه ، لا تحبل أبداً^(٤) .

وقال السيوطي في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أضيف دم الذئب لدهن الجوز ، وقطر في أذن الأصم برئ .

إذا اكتحل به ، أسقط الشعرة من العين^(٥) .

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٢) السيوطي ، الكنز المدفون والفلك المشحون ، ص ٤٤٥ .

(٣) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص ٣٦١ .

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٥) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص ١٩٩ .

ذئبه

قال القزويني :

يُدفن في قرية، فلا يقربها الذئب^(١).

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن عُلِقَ ذئب ذئب على مَعْلَفِ البقر، لم يقربه البتة، ما دام معلقاً، ولو

جَهْدَهُ الجوع^(٢).

وقال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

من أخذ ذئب ذئب، ودفنه في موضع مصاب،

فإنه لا تدخله الذئب.

تُبَخَّرُ المحموم بشعر ذئب الذئب، فيبرأ^(٣)

ذكره

قال السيوطي في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

تأخذ ذكر الذئب، وتبيسه، وتجعله عندك حتى تريد

الجماع، فتأخذ منه مقدار الفولة، وتشويه شيئاً

غير دقيق، وتبلعه، فإنه جيد جداً.

من شوى قضيب ذئب في فرن، ومضغ

منه مضغته، قوي على الجماع.

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.

(٢) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٣) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ١٩٩.

إذا أردت أن تعقد المرأة، فلا يطؤها أحد بنكاح
ولا بسفاح، فخذ ذكر ذئب، واعقده على اسمها
فلا يقوم عليها أحد غيرك^(١)

عظمه:

قال القزويني:

يُسحق، ويُذَرُّ حول الزريبة، فلا يقربها الذئب^(٢).

وقال الدميري:

إذا أخذ عظم من العظام التي تُوجَد في ذيل الذئب، وخذش بها الضرس
الوَجيع، أبرأه من وقته^(٣).

عينه

عينه اليمنى:

قال القزويني:

من استصحبها، تدفع عنه قوة البله، ولا يفزع في الليل.

عينه اليسرى:

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

من استصحبها، لا يغلبه النوم^(٤).

عين الذئب، تمنع من الصرع.

(١) المصدر السابق.

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص ٣٦، ٣٦٤.

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.

من علق عين ذئب، لا يقربه شيء من السباع والهوام والصوص.
كما قال:

جلده وعينه وأنياه

إذا جُمعت، وحملها إنسان معه، غلب خصمه، وكان محبوباً بين الناس.^(١)

مرارته

قال كشاجم:

مرارته تُداف (أي تُخلط وتمزج) بالورس،

ويطلى بها النمش والبهق في الوجه، فيذهب.

تُداف بعسل، وتُطلى بها على الذكر،

وتُجامع المرأة، فتحب من يجامعها حباً شديداً^(٢)

وقال القزويني:

يُطلى بها الحاجبان، يبقى المرء مكرماً بين الناس.

تُشد على الفخذ اليمنى، فتزيد في قوة الباءة.

يُسقى منها قدرٌ دائق مع حبة المسك للمصروع

الذي يُصرع أول كل شهر، يزول عنه ذلك.

لو احتملتها المرأة العقيم، تحبل، إذا باشرها زوجها.

يُكتحل بها، ينفع من نزول الماء في العين من الغشاوة^(٣).

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارذ، ص ١٠٦.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.

تنفع التجمع والكزازة اللذين يتبعان جراحات العصب خصوصاً من البرد.
إذا سُعط منها من به النُّزلات العِظام من مرارة الذئب، نفعته^(١).

كما قال في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

تؤخذ مرارة الذئب، وتخلط مع دهن اللوز، وتقطر في الأذن، يذهب الصمم.
إذا أخذت مرارة الذئب، وخلطتها بعسل، وسُقي منها صاحب العطش
الشديد، نفعه نفعاً عظيماً.

من أخذ مرارة ذئب، وربطها على فخذه الأيمن، جامع ما شاء ولا يضره.
من جفف مرارة ذئب، ومرارة تيس، وخلطهما بدهن خالص، وطلّى به إحليله
وما حوله، وجامع به امرأته، فإنها لا تصبر عنه ساعة واحدة.

من أخذ مرارة ذئب، وخلطها بعسل، ودهن بها ذكره وقت الجماع، أحبته
امرأته حباً شديداً.

إذا أخذ الإنسان مرارة ذئب، ومسح بها بين ثديي امرأة، أحبته حباً شديداً.
إذا سُقيت المرأة مرارة الذئب بعسل، وهي لا تعلم، ذهب غيرتها^(٢).

علاج عضّة الكلب/المكلوب

أما فيما يختص بعلاج عضّة الكلب المكلوب، (وكذلك الذئب)،
فيقول السيوطي ما يأتي:

تعريف أعراض الشخص المصاب بداء الكلب:

أن يتغير لونه، ويدلع لسانه، ويشرب ظفره، ويمتد عنقه، وينحني ذيله،
ويكلب نفسه، فتراه يذد بنفسه، ويهرول وهو لا يدري أين هو، وهو لا يشعر بنفسه،
فإذا قابله شيء، وله جرم أو شبح، حمل عليه، وعضه؛ فإذا أصاب حيواناً أو شاة

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٠٧-٣٠٨.

بأنياه، أو أظافره حتى قطع الجلد، سرى فيه السم إلى أن يكلب مثله.
 وعلامة المكلوب أن ينكر الماء إذا قُرب إليه، وهو أكبر العلامات فيه وأبينها.
 وقيل: المكلوب إذا نظر وجهه في المرآة، رأى وجهه وجه كلب؛ وإذا أكل
 لقمة، وأطعم منها الكلاب، لم تقبلها.
 أحرق خرقة كتان، وتأخذ رمادها، وتعجنه بسمن وخل، ويوضع على
 العضة، فإن الوجع يسكن، والورم يخف ويبرأ سريعاً من قبل أن ينكر الماء، فبعد
 أن يدق، يُكوى حوالي العضة بالنار، ويُضمد بشوم وملح مدقوقين معجونين
 بعسل يؤخذ عسل منزوع الرغوة، وسمن منقص، ويطلعان على النار، وي طرح
 فيها من الثوم المقشر المسحوق ناعماً قدر ما يقوم فنفعه، ويترك حتى يغلي
 ويمتزج خاصية الجميع في بعضه بعضاً، ثم يُترك، ويشرب منه فاتراً، يستعمل
 على الريق.

تأخذ عسلاً ومصطكى، وتخلطهما جميعاً، وتلقه المعضوض.
 إذا كان مربوطاً بالحبل، فخذ غبار السماء، وأطعمه له في حبة من كرموس أو ثمرة.
 إذا كان رجلاً، أطعم له ثلاث حبات من قمح، وأسقه مرق دجاج من بعده.
 إن كانت امرأة، أطعمها حبة ونصف من قمح، واسقها مرق دجاج من بعده.
 إن كان صغيراً، أطعمه وزن حبة من قمح، واسقه مرق دجاج من بعده.
 إذا عض كلباً، فخذ له حشيشة تُسمى الجعدة، وأطعمها له في العسل سبعة أيام
 على الريق. أو خذ عرقاً يقال له: عرق الثعلب، وهو عرق شديد المرارة، وأطعمه له
 في العسل سبعة أيام على الريق، ولا يُخالف يوماً من الأيام الذي أكله الكلب.^(١)

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٧-٢٩٨.

المصطكى، والمصطكا، والمصطكاء: العلك الرومي، ليس من نبات أرض العرب.
 وانظر، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ١٩-٢٠.

الخرافات الشعبية

الرُّقى:

رأينا فيما سبق كيف أن التفكير الشعبي العربي ورث مفاهيم خاصة عن أجزاء الذئب تُسب لها قوة سحرية وتأثير خاص، هما بالتأكيد ليسا وليدَي مرحلة متأخرة، إنما جاءا من أعماق الضمير الجمعي العربي قبل الإسلام، وأخذا يتكيفان مع الأوضاع المتأخرة.

ولكن التفكير الشعبي الذي احتفظ بكل تلك الاعتقادات، احتفظ بأمور، خرافية لا تتفق هي أيضاً مع أوضاع الدين الجديد، إذ يحدثنا أبو العباس أحمد بن علي البوني (ت ٦٢٢ هـ) عن رُقية يقول عنها:

"من كتبها على جلد ذئب مدبوغ، ودفنه تحت عتبة دار أو مدينة، لم يدخل ذلك الباب كلب ما دام الجلد مدفوناً".

والرقية هي: "مزجل برجل ترقب برهش غلمش خوطير"^(١).

وهناك صورة الأسماء التي رسمها الخيال الشعبي على عصا موسى للتغلب على "الوحوش الضارية"، و"السباع"، ويندرج في هذه الذئاب، والتي يقال: إن :
 "من كتبها في شرف الشمس، أو شرف المشتري بماء المرسين وماء الحبق الهندي، وماء كزبرة البئر، وماء الخلاف، وماء الورد والزعفران، في رق غزال، ويُيخر وقت الكتابة برائحة طيبة وجوف عصابته، وأدخل فيها الأسماء، وختم عليها بشمع عروس بكر، فإن كان في مكان مخيف، وظهر عليه أو شيء من الوحوش الضارية المؤذية، يَضرب بالعصا في الأرض ثلاث مرات. وقال: اللهم، إني أسألك ببركة هذه الأسماء العظيمة التي كانت على عصا موسى بن عمران عليه السلام،

(١) أبو العباس، أحمد بن علي البوني، منبع أصول الحكمة (القاهرة: مطبعة عباس عبدالسلام بن

وضرب بها البحر، فانفلق، وكان كل فرق كالطود العظيم، أن تحبس عني كذا وكذا، وذكر ما يريد من توقيف ... أو سباع، ثم قال: "قفوهم إنهم مسؤولون"، فإنهم يقفون، بإذن الله تعالى".^(١)

وهذه الأسماء هي:

"فيوخ فادخ قيوم قادر شليوخ شالخ ذيوم صالِح ورِ صادقِ أَرشح شليوخ شالخ نار مَتوخ يادخ شامخ عظيم رحماً قادر نُوخ كلوش أو يايو شاه شلوش وهدخ شراهيا شَرُوش شوش عالِ علي قويِ نادي كبيراً".

وكانت مكتوبة بأحرف عبرانية قديمة.^(٢)

بل إن أبا العباس ينقل لنا صورة رسم سحري ذي تأثير في الذئب، يقول عنه: "من رسم الوفق الآتي في كاغد أو رق، أو نقشه في خاتم، ولازم على ذكر هذا البيت، أطاعه جميع الخلق من مغرب الأرض إلى مشرقها، حتى الحيوانات غير الناطقة كلهن تخضع لحاله، وتنعقد الألسن عنه، ولا يقربه سبع، ولا ذئب، ولا حية"^(٣). وهكذا، تتراكم المواد الشعبية، التي جاءت على نسق ما ذكره ابن قتيبة، مما هو معتقد أنه موروث شعبي عربي قديم، ظلت الأجيال تتناقله، حتى دونه المتأخرون، فمن هذا ما ذكره عبد الفتاح السيد عبده الطوخي، في كتابه: العفاريات والجن:

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥. وعلى الرغم من أن هذه الخرافات قديمة متداولة، فإنه لا يمكن التعميل على صحتها، لأنها لا تساغ عقلاً، ولم تقرّ شرعاً.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥. ولا شك أن هذا الكتاب باطل في المعتقد الشرعي، وخرافي في الممارسة الاجتماعية؛ ومثل هذه الصورة وهذا الكلام، لا أساس علمياً له، وإنما صورناه هنا، لإعطاء القارئ نموذجاً من نماذج الممارسات الخرافية في المجتمع القديم.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

ذكره ومراراته:

من أخذ معه قطعة من ذكر الذئب ومرارته، على فخذه، فإنه لا يفتر عن الجماع، ولا يضعف عنه.

ذكره (فقط):

من أخذ قضيب الذئب وعقد في طرفيه، باسم إنسان، ورماه في بئر عاطلة، فإنه ينعقد.

جلد رقبتة:

من أخذ سلخ رقبة الذئب، وعمل منها طبلًا، وضرب بها بين الطبول تشقت. (١)
وواضح أن استخدام الرقى السحرية، لم تكن حديثة العهد بالنسبة للعرب، فقد عرفها العرب منذ الجاهلية، كان فيهم الكهنة والعرافون والطراؤون بالحصى - والخطاطون في الرمل، والذي يتضح أن العرب استمروا في استخدام الرقى السحرية بعد أن استبدلوا الخطوط والخربشات، أو الكتابة الوثنية، أو الدينية المتأثرة باليهودية أو النصرانية - مفردات إسلامية، أو حتى كتابات قرآنية. فهذا أحمد الديري ينقل لنا الحكاية التالية: "منقولة عن بعض الصالحين أنه قال:

خرجت يوماً إلى البرية، فوجدت شاة وعندها ذئب يلاعبها ولا يضرها، فلما قربت منها، هرب الذئب، فامسكت الشاة، فوجدت في عنقها كتاباً مربوطاً، فأخذته، وفتحته، فوجدت فيه هذه الآيات، وهي:

﴿وَلَا يَتُودُّهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ١٤]، ﴿وَجَفَّظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ نَارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]، ﴿وَحَفِظَتْهَا

(١) عبدالفتاح السيد عبده الطوخي، العفاريت والجن، (القاهرة: مطبعة حسان، د. ت) ص ص

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [الحجر: ١٧]، ﴿ وَحَفِظْنَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْنَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [إنه، هو يَدِيٌّ وَيُعِيدُ] ﴿ وَهُوَ الْعَاقِرُ الْوَدُودُ ﴾ [ذو العرش المجيد] ﴿ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴾ [هل أُنْذِرُكَ حَدِيثَ الْجَنَّةِ] ﴿ فَرَعُونَ وَسَمُودَ ﴾ [بل الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ] ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ حَافِظٌ ﴾ [بل هو قُرْءَانٌ مَجِيدٌ] ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ١٢-٢٢]، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَنَخْلِفُ رَقِي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴾ [سبا: ٢١]، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الشورى: ٦]، ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَافِظٌ ﴾ [ق: ٤]، ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَافِظٌ ﴾ [ق: ٣٢]، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠]،^(١).

وليس أدل على أن هذه الخرافات الشعبية، أو التأثيرات السحرية، التي اتخذت صوراً دينية، مزجها العقل الشعبي بالتصورات الدينية غير الإسلامية - وإن كان بعضها اعتمد الآيات القرآنية - هو جزء من التراث الأدبي للعرب من أن السيوطي ينقل لنا بعض ذلك، فيقول:

"لطرده الذناب:

تكتب في أربعة شفاف حمر فخار، وتدفعها في أربعة أركان:

"سيهزم الجمع - إلى - وأمر."

"ويخربون بيوتهم - إلى - الجلاء."

(١) أحمد ديربي، مجربات ديربي (بومبي: مطبعة محمدي بومبائي، ١٣٧٢هـ)، ص ٤٦.

"كأنهم حمر - إلى - قسورة".
 "وتحسبهم - إلى - شتى".^(١)

ويقول:

لترحيل الذئاب:

تكتب هذه الأسماء في شقفة فخار غير مطبوخ، وادفنها تحت الأجاج، فإنها
 ترحل، ولا يبقى منه شيء، وتدفنها في محل عمل:

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا ﴾ [التوبة: ٤١].

﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ﴾ [الاحقاف: ٢٥].

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦].

ح ١١١ و ٢١ ط هـ ٥ طاء ١١ م ١١١ طلل

كل كه ١١١ ط لله.^(٢)

ويذكر السيوطي ثلاث رُقَى لعلاج الكَلْب، هي:

علاج عضة الكلب برقية: تكتب في يد البقر المسوس، ويفطر عليه سبعة أيام، يطعم
 قبل أن يمسه الكلب، وهي هذه الأسماء التي تكتب: توسم عجليم ٢ لطول كفة قريم نتقف
 لشرناب طويم، وكذلك له هذه الأسماء والزيد يفطر عليه ثلاثة أيام يبرأ بإذن الله تعالى،
 وهذا ما تكتب: برش ٢ أقواش ٢ أقش ٢ الموز ٢ هون ٢. اهـ. وما يكتب في حرز ويعلقه على
 العضوض في عنقه، وهو هذا: ابزيق ٢ انده زنده شارا قف جارار عج ممروح، وهذه
 الأسماء الأخر تكتب في سبع قرص، يفطر كل يوم على واحدة، وهي هذه الأسماء:
 فيلكم فالنبدنا فاعرف محمد ما انبدوا شرت قمندا عبدناء عقدناء حجرا امرجوا فقلت اخرج
 ريقط يا كذا وكذا من علة نزلت بك من علة الكلب المسعور بلا حول الخ.

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

علاج عضه الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث في خبز شعير غير مقلي، وتكون طحنته بنت لم تبلغ الحلم، ويطعم ثلاثة أيام، وتكتب حول الخاتم (ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرية، ألم تر كيف فعل ريك بأصحاب الفيل) إلخ، وتكررها^٣.

علاج عضه الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث بكماه على خمسة أقراص، وتكتب على الأولى: الألف والطاء على ترتيب أبجد، وعلى الثانية: الجيم، وعلى الثالثة: الهاء والداد، وعلى الرابعة: الزاي وما بعدها إلى الواو، وعلى الخامسة: الطاء وما بعده إلى الحاء على الترتيب، ويقرأ عليها آية الكرسي^(١).

الذئب في الأحلام

بلغ من تأثير الذئب على الإنسان وقوة شخصيته أن تغلغل إلى أعماق اللاشعور، فلم يعد الأمر مقتصرًا على الرسم والنحت والتصوير والتداوي، بل أصبح يمثل صوراً مرموزة في الحياة التي يعيشها الإنسان وترتبط بالذئب ارتباطاً قوياً. فمن تفسيراتهم لرموز الذئب في الأحلام:

أن رؤيته تدل على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم الذئب في الرؤيا لص غشوم ظالم. من رأى جرو ذئب، فإنه يربي لصاً لقيطاً إن تحول الذئب حيواناً إنسياً كالخروف، وشبهه، فإنه لص يتوب. من رأى ذئباً داخل داره، فليحذر اللصوص. من رأى ذئباً، فإنه يتهم إنساناً، ويكون المتهم بريئاً. من رأى ذئباً وكلباً اتفقا واجتمعا، دل على النفاق والمكر والخديعة.^(٢)

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٣٦٤.

وقال الحسن بن بهلول :

"لبن الذئبة ... خوف شديد"^(١)

كما قال :

"الذئب سلطان غشوم، لص، ضعيف كذلك؛ وشرب لبنه خوف"^(٢).

الذئب في السياسة

كما دخل الذئب في الأساطير والخرافات، وتغلغل في التفكير الاجتماعي للإنسان منذ العهود الغابرة، احتل مركزاً بارزاً في التوجهات السياسية للبشرية.

واستخدم الذئب في التعبير سياسياً بمواقف هزلية ساخرة مضحكة ضد السلطة، حين حكوا عن دخول الذئب الجنة؛ لأنه أكل ابن شرطي، وتمنوا أن يكون قد أكل ابنه، ثاراً منهم لما يلاقونه على يد الشرطة في ذلك الزمان، ورأوا أنه لو فعل ذلك، لكان "رُفِع في عِلين"^(٣).

ونجد الذئب في الأزمنة الحديثة نموذجاً سياسياً، شمل تصوير السّفاحين في شكل ذئب (هتلر مثلاً - العم الذئب) كما برز في فترات الصراع الطبقي في الأعمال الأدبية والفكرية (الرواية...).

ولم يخل الأدب من استغلال الذئب رمزاً سياسياً اجتماعياً، كما هو الحال في كتاب كليلة ودمنة، في قصة "الذئب ووتر القوس"^(٤).

(١) الحسن بن بهلول، الدلائل، تحقيق: يوسف حبي (الكويت: معهد المخطوطات العربية، ط١،

١٩٨٧م) ص ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٣٦١.

(٤) عبدالله بن المقفع، كتاب كليلة ودمنة، تحقيق: فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، ١٩٨٠م) ص ١٤.

ولكن أشهر موضع احتله الذئب في السياسة العربية ، أنه كان رمز بسط الأمن والسلام ، أي تحقيق العدالة والمساواة بين القوي (الذئب) ، والضعيف (الخروف) ؛ فقد سبق أن مرّ بنا قول ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

لو تُقَفِّي وتترك الناس كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاء

ويقول الكميّ بن زيد الأسدي ، يمدح محمد بن سليمان الهاشمي :

تلقي الأمان على حياض محمدٍ ثولاءٍ مُخرَفةٍ وذئبٍ أطلَسُ

لا ذي تخافُ ولا لهذا جرأةٌ تُهدى الرعيّةُ ما استقامَ الرئسُ^(١)

وقد عبّر الناس عن مواقفهم السياسية بقول أحدهم :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب^(٢)

أما التعبير عن حالة الفوضى بشكل عام ، فنجدّه في قول القائل ، مستخدماً المثل : "إن الذئاب قد اخضرت برائنها" :

إن الذئاب قد اخضرت برائنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا^(٣)

(١) الزبيدي ، التاج ، "خرف". الثولاء: النعجة بها ثول. المخرفة: التي لها خروف يتبعها ، مولود في الخريف.

(٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

(٣) الأشناداني ، معاني الشعر ، ص ٦١ . أي: أن الذئاب - وهم القوم المغيرون - شَبَّههم بالذئاب ، بختلهم وحرصهم على الغارة. واخضرت برائنها: أي أن الأرض قد أخضبت ، وكثر العشب فيها ، وأمكن الغزو ، فالأقدام مخضرة ، جعل الأقدام برائن. وقوله: الناس كلهم بكر إذا شبعوا: لشدة عداوة بكر لتميم ، وأكثر مغازاة. أي: إذا شبع الناس ، فأخصبوا ، فعداوتهم كعداوة بكر بن وائل.